تفريغات

أصول التفسير

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

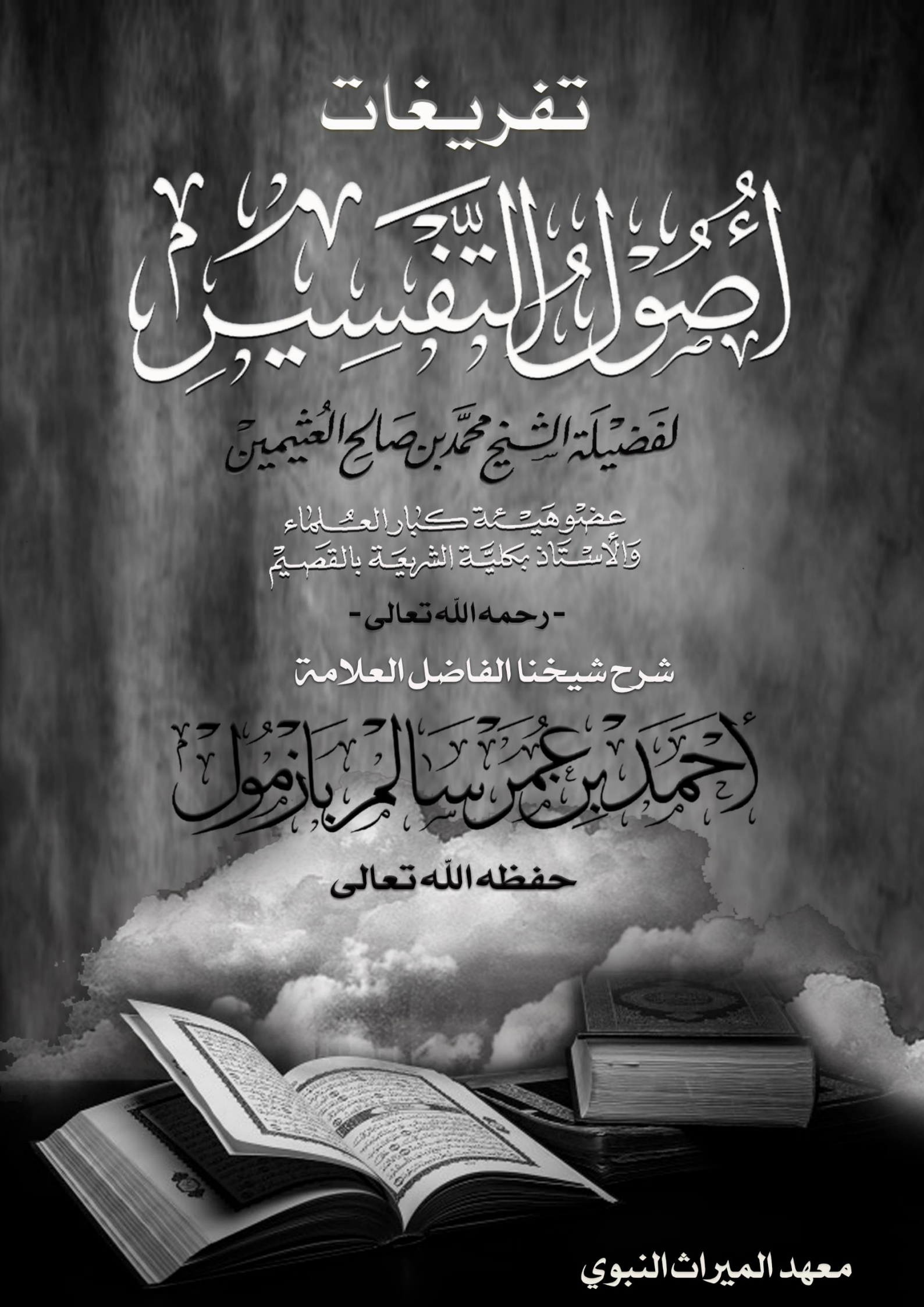

معهد الميراث النبوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد :

فنكمل - بإذن شاء الله عز وجل - مدارسة كتاب **العلامة ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – في " أصول التفسير " .**

وتوقفنا عند قوله : **" نزول القرآن ابتدائي وسببي "**

القرآن كلام ربنا - سبحانه وتعالى - نزل به جبريل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وكان نزول جبريل - عليه الصلاة والسلام - بالقرآن إلى نبينا - صلى الله عليه وسلم - له صورتان أو حالتان :

الأولى : أن ينزل بالقرآن من باب التعليم والإرشاد والهداية ؛ وهذا سبب نزول القرآن عمومًا ، فمن أعظم فوائد نزول القرآن ليُعمَل به وليُقرأ ولتُتدبَّر آياته ، وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ - رحمه الله تعالى - بقوله : **" نزول القرآن ابتدائي "** ؛ يعني بالسبب العام ليس بالسبب الخاص ، وقد ينزل القرآن لبيان حادثةٍ أو جوابٍ عن سؤال أو كشف واقعةٍ وهذا يسميه العلماء سببٌ خاص ، وهذا الذي أشار إليه الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى - بقوله : **" وسببي "** .

إذًا ؛ أسباب النزول العامة من حيث الهداية والعمل به والتدبر والقراءة لا تدخل معنا في هذا المبحث لأن هذه أسباب عامة ؛ وإنما هذا المبحث يدخل فيه **" نزول القرآن السببي الخاص "** .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" ينقسم نزول القرآن إلى قسمين :**

الأول : ابتدائي .

قال : **" ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سببٌ يقتضيه "** ؛ يعني سبٌب خاص كسؤالٍ أو واقعةٍ ، قال : **" وهو غالب آياتِ القرآن "** ؛ يعني القرآن أكثر من ستة آلاف آية أغلبها نزل نزولا ابتدائيًّا بلا سببٍ خاص .

قال : **" ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[1] ...الآيات ، فإنها نزلت ابتداءً في بيان حال بعض المنافقين ؛ وأما ما اشتهر من أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب في قصةٍ طويلة ذكرها كثيرٌ من المفسرين وروجها كثيرٌ من الوعاظ فضعيفٌ لا صحة له "** ؛ يعني أنها لا تثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا تثبت عن حاطب - رضي الله عنه - ليس هو الذي عاهد الله إلى آخره ؛ وإنما هذه الآية نزلت نزولًا ابتدائيًا لبيان حال بعض الناس وللتحذير من أن يقع المسلم في مثل أحوالهم ؛ فهذا كما سبق نزول عام من باب التعليم والإرشاد والهداية .

قال : **" والقسم الثاني سببي : وهو ما تقدم نزوله سببٌ يقتضيه "** ؛ يعني من سؤالٍ أو قصةٍ أو نحو ذلك وسيذكر الأسباب ، يقول الشيخ - رحمه الله - مبينًا **ما هو السبب ؟**

قال : **" والسبب :**

أ - يعني السبب أنواع :

---

[1]) سورة التوبة [الآية : 75] .

النوع الأول : سؤال - قال : " **إما سؤالٌ يجيب الله عنه مثلُ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ ﴾[2] " ؛** فكانوا يسألون عن انتفاخ الأهلة فبين الله - عز وجل - أنه - سبحانه وتعالى - جعلها لمعرفة الأوقات إلى آخره .

طيب ؛ إذًا هذا **السبب الأول** : سؤال .

السبب الثاني : " **أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيانٍ وتحذير** " ؛ حادثة يعني أمرٌ وقع - أمرٌ وقع - وصدر من بعض الناس فيبين الله - عز وجل - في آياتٍ الموقف من هذا الأمر والحكم لهذا الأمر .

قال الشيخ : " **أو حادثةٌ وقعت تحتاج إلى بيانٍ وتحذير مثل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾[3] ؛ الآيتين نزلتا في رجلٍ من المنافقين قال في غزوة تبوك في مجلسٍ : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا " ؛** يعني يشير- قبحه الله - هذا المنافق إلى أنهم يأكلون كثيرًا يعني يحبون الأكل ، وهذا إشارة إلى أنهم يعني يحبون الدنيا ويخافون الموت ويجبنون عن اللقاء ، فهذه الآيات - كما هو معلوم - نزلت في أولئك النفر من المنافقين الذين كانوا ووقعوا في هذا الأمر .

قال : " **وَلَا أَكْذَبُ أَلْسِنَةً** " : يعني يقولون كلامًا لا يفعلونه ، " **وَلَا أَجْبَنُ عِنْدَ اللِّقَاءِ** " : يعني يخافون .

وهو بذلك - أي المنافق - **يعني رسول الله – صلى الله عليه وسلم** – وحاشاه من ذلك - **وأصحابه** -؛ يعني يقصد أن هذا وصف الرسول ووصف الصحابة - رضوان الله عليهم - وحاشاهم من ذلك .

---

[2]) سورة البقرة الآية 189

[3]) سورة التوبة : الآية 65 .

قال الشيخ : " **فَبَلَغَ ذَلِك رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، فجَاءَ الرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يعني يقول : أنا أقول هذا الكلام من باب المزاح ومن باب تسلية الطريق ونحو ذلك - **فيجيبه الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ﴿ أَبِاللَّـهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾**[4] " ؛ فهنا نزلت هذه الآية في هذه الحادثة ، حادثةٌ وقعت تحتاج إلى بيان ؛ هذا **النوع الثاني** .

النوع الثالث : قال : " **أَوْ فِعْلٌ واقِعٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةَ حُكْمِهِ** "

مثل ماذا ؟

مثل الرجل الذي طلَّق زوجته وظاهرها وقال : " **أنت علي كظهر أمي** " ، فجاءت إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تشتكي وتبين ، كما قال الله - عز وجل - : **﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾** [5] ؛ فهذا **النوع الثالث** فيه أن من أنواع أسباب النزول نزول آياتٍ لبيان فعلٍ واقعٍ يحتاج إلى معرفة حكمه .

هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله تعالى - بناءً على أنواع الآيات التي نزلت في أسباب النزول ؛ فهي :

- إما جواب سؤال .

- وإما حادثة وقعت ، فيبين الله - عز وجل - فيها حال وأمر من وقعت له .

- وإما فعلٌ واقعٌ يحتاج إلى معرفة حكمه ؛ لأن هذه المرأة التي قال لها زوجها : " **أنت علي كظهر أمي** " كان الظهار في الجاهلية ؛ يعني المرأة فيه لا تُطلَّق فتتزوج غير الرجل ، ولا تبقى معه فتكون زوجة له ، فتكون

---

[4]) سورة التوبة : الآية 65 .
[5]) سورة المجادلة: الآية 1 .

معلقة ليست بطليقة حرة تتزوج بغيره وليست بزوجة تكون تحت زوجها ، فجاءت تشتكي إلى الله وتطلب - يعني - المخرج من هذا الأمر ، فنزلت الآيات كما هو معلوم في حال هذه المرأة وهي **خولة - رضي الله عنها وأرضاها -.**

طيب ؛ **فوائد معرفة أسباب النزول** ؛ يعني **هل معرفة أسباب النزول من باب التسلية أو من باب - يعني - مجرد المعرفة ؟**
لا ، **هناك فوائد عظيمة لمعرفة أسباب النزول :**

- فمنها : كما يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" معرفة أسباب النُّزول مهمةٌ جدًّا "**
لماذا ؟
أقول : لأنّها تُعِين المفسر على فهم المراد من الآية .
- ومنها أيضًا : أنّها تُبين الحكمة التي لأجلها نزلت الآيات .
- ومنها أيضًا - من فوائد أسباب النزول - : ما سيذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - فقال : **" لأنّها تؤدي إلى فوائد كثيرة منها :**
بيان أنّ القرآن نزل من الله - تعالى - ؛ وذلك لأن النبي - صلّى الله عليه وسلّم - يُسأل عن الشيء فيتوقَّف عن الجواب أحيانًا حتى ينزل عليه الوحي " ؛ فلو كان القرآن مفترى من عند الرسول وهو الذي جاء به من تلقاء نفسه لكان كلما سئل لأجاب ، ولكن توقفه وانتظاره نزول الوحي دليلٌ قاطعٌ على أنّ القرآن نزل من عند الله - عزّ وجل - .

قال : **" حتى ينزل عليه الوحي أو يخفى الأمر الواقع فينزل القرآن مبينًا له "** ؛ يعني أنّه قد يقع أمر لا يطلع عليه أحد فينزل القرآن يكشف هذا الأمر ، فهذا دليل على أنّ هذا القرآن من عند الله ، ووجه ذلك أنّ الله - عزّ وجل - مطلعٌ على الغيب على السر وأخفى ، ما كان للرسول - صلّى الله عليه وسلّم - ولا للصحابة - رضوان الله عليهم - الذين لم يحضروا

الواقعة أن يتكلموا فيها أو أن يبينوا ما حصل فيها لأنّهم لا يعلمونها ؛ ولكن الله الذي يعلم كل شيء بيَّنها وأوضحها ، فدلّ هذا النزول على أنّه - أي القرآن - من عند الله - عزّ وجل - .

قال : **" أو يخفى الأمر الواقع "** ؛ يعني لا يطلعون عليه فينزل الوحي مبينا له ، قال : **" مثال الأول :** وهو أنه - صلى الله عليه وسلم - يُسأل عن الشيء فيتوقف عن الجواب عنه مثاله **؛ قوله تعالى - :**

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[6] ، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رجلًا من اليهود قال : يا أبا القاسم ما الروح ؟

- يعني بيِّن لي ما هي ؟ أو ما الروح هذه ؟ ما حقيقتها ؟

فسكت ، وفي لفظٍ : فأمسك النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلم يرد عليهم بشيء يعني لم يجبهم بشيء - **، فلم يرد عليهم شيئا ، قال -** أي ابن مسعود - **فعلمتُ أنه يُوحى إليه فقمتُ مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ " ؛** فهنا سُئل - صلى الله عليه وسلم - فتوقف عن الجواب حتى نزل عليه الوحي جوابًا عن هذا السؤال .

طبعًا اليهود المكرة - يعني - أرادوا أن يعجزوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن يسألوه أسئلةً كما يقال يريدون بذلك الإحراج ، فبيَّن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لا يعلم ، وتوقف حتى نزل الوحي وبيَّن لهم أن الروح ليس من شأنكم وإنما الروح من أمر ربي وأنكم مهما أوتيتم من علم فلن تبلغوا حقيقة الأمر .

قال : " ومثال الثاني قوله تعالى " ؛ الثاني مراده به أو يخفى الأمر الواقع فينزل الوحي مبينًا له ، قال : **" ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن**

[6]) سورة الإسراء [الآية : 85] .

رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ﴾[7] ، ففي صحيح البخاري أن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - سمع عبد الله بن أُبَيٍّ رأس المنافقين يقول ذلك "

- أيش يقول ؟

يقول : لما نرجع للمدينة ﴿ **لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ** ﴾ وهم يعنون به أنفسهم المنافقين ﴿ **مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ** ﴾ وهم يقصدون الصحابة والنبي - صلى الله عليه وسلم - وحاشاهم من ذلك - .

وهذه عادة المنافقين وعادة أهل الأهواء والبدع أنهم يرون أنفسهم هم الأفضل وهم الأحسن ويرون أهل السنة وأهل الحق هم الأذل وهم الذين ينبغي أن يكونوا منقادين لهم ، ولذلك هنا مسألة ننبه عليها سريعًا : وهي أن المنافقين حالهم حال أهل الأهواء ، وأهل الأهواء حالهم كحال المنافقين كما ذكر ذلك بعض السلف .

طيب ؛ قال :" **يقول ذلك** - سمع عبد الله بن أُبي - **يقول ذلك يريد أنه الأعز ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الأذل** - يعني الذليلين الحقيرين هكذا وحاشاهم من ذلك - ، **فأخبر زيد عمه بذلك** ؛ فأخبر زيد بن أرقم عمه بذلك ، **فأخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم -** - يعني قال : يا رسول الله هؤلاء يقولون كذا كذا كذا - **فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - زيدًا فأخبره بما سمع ، ثم أرسل إلى عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا** - أقسموا بالله أنهم ما قالوا هذا الكلام وهم كذبة فجرة - ، قال : **فصدقهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم** - أي قبل منهم كلامهم لحلفهم لأنهم حلفوا - **فأنزل الله - عز وجل - تصديق زيد في هذه الآية فاستبان الأمر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ."**

[7]) سورة المنافقون [الآية : 8] .

فهذا مثال الأمر الذي وقع وخفي حاله على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى الصحابة .

طبعًا هنا زيد بن أرقم - رضي الله عنه - يعني سمع هذا الكلام فبلَّغ عمه وعمه بلَّغ النبي - صلى الله عليه وسلم - والنبي - صلى الله عليه وسلم - استدعى زيدًا وسمع منه ثم استدعى عبد الله بن أُبيّ وسأله عمَّا وقع ، فحلف عبد الله ومن معه أنهم لم يقولوا ذلك فتركهم لأنه ليس له إلا ما ظهر له ، ثم نزلت الآيات ففضحتهم وبيَّنت حالهم .

إذًا هذه فائدة ، الفائدة الأولى إذًا خلاصتها : أن القرآن نزل من عند الله ، ووجه ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يُسأل عن أشياء لا علم له بها فيأتي الوحي ليُعلِّمه ، **ووجه ثاني** : أن القرآن ينزل يكشف أمرًا خفي على النبي - صلى الله عليه وسلم - أو على أصحابه .

الفائدة الثانية : بيان عناية الله تعالى برسوله - صلى الله عليه وسلم - في الدفاع عنه ؛ مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[8] ؛

يعني الكتب السابقة كانت تنزل جملة ، فقال الكفار يريدون أن يشككوا في القرآن :

- ليش القرآن نزل مفرق ؟

- لماذا لم ينزل جملةً واحدة ؟

قالوا هذا الكلام يريدون أن يقولوا فرقٌ بين القرآن والكتب السابقة ، وهذا الفرق يدل على أنه ليس من عند الله ؛ فنزلت الآيات لتثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - ردًّا عليهم بقوله : **﴿ كَذَٰلِكَ ﴾** أي أنزلناه مفرقًا **﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾** ؛ يعني لما تحصل الوقائع والأحداث العِظام المحزنة والمصائب المؤلمة تنزل الآيات فيحصل لك بها اطمئنان .

[8]) سورة الفرقان [الآية : 32] .

ولذلك إخواني - بارك الله فيكم - إن قراءة القرآن وتدبره في وقت العسر والحزن والمصائب أمرٌ يُعين على تثبيت الفؤاد وعلى الصبر وعلى إزالتها - بإذن الله تعالى - ، قال : ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ قال : **" وكذلك** - أي مثال آخر عناية الله - عز وجل - بالرسول - صلى الله عليه وسلم - **آيات الإفك فإنها دفاعٌ عن فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - وتطهيرٌ له عن ما دنسه به الأفاكون** أي الكاذبون . "

والإفك : هو شدة الكذب ، فقد افترى وكذب بعض المنافقين على بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورموهم بالعِظام وهن بُرَآءُ من ذلك ، وقد برأهن الله - عز وجل - من فوق سبع سماوات وبَيَّنَ أنهن طاهرات عفيفات شريفات - رضي الله عنهن - أجمعين ؛ فهذا فيه دفاعٌ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنايةٌ به - صلى الله عليه وسلم - .

3 - من فوائد أسباب النزول ومعرفة الأسباب :

بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم ، مثال ذلك : آية التيمم ؛ ففي صحيح البخاري أنه ضاع عقدٌ لعائشة - رضي الله عنها - وهي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره ، فأقام النبي - صلى الله عليه وسلم - لطلبه ، وأقام الناس على غير ماءٍ فشَكَوْا ذلك إلى أبي بكر ، فذكر الحديث ، وفيه : فأنزل الله آية التيمم : ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾[9] ، فقال أسيد بن حضير : (ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر)[10] ، والحديث في البخاري مطولا [11] "

[9]) سورة النساء [الآية : 43] .

[4] الراوي : عائشة أم المؤمنين ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : 4607 .

[5] خَرَجْنَا مع - رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - في بَعْضِ أسْفَارِهِ ، حتَّى إذَا كُنَّا بالبَيْدَاءِ ، أوْ بذَاتِ الجَيْشِ ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فأقَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى التِمَاسِهِ، وأقَامَ النَّاسُ معهُ، ولَيْسُوا علَى مَاءٍ، وليسَ معهُمْ مَاءٌ، فأتَى النَّاسُ إلى أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقالوا: ألَا تَرَى ما صَنَعَتْ عَائِشَةُ، أقَامَتْ برَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وبالنَّاسِ، ولَيْسُوا علَى مَاءٍ، وليسَ معهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أبو بَكْرٍ ورَسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - واضِعٌ رَأْسَهُ علَى فَخِذِي قدْ نَامَ ، فَقالَ : حَبَسْتِ رَسولَ

يعني هذه القصة عائشة - رضي الله عنها - فقدت عقدًا في هذا السفر ، فقدت عقدًا في هذا السفر ، فبحثت عنه فلم تجده ، فتأخَّر الصحابة بسبب هذا البحث وهذا معنى قوله : **" فأقام "** أي ؛ انتظروا ، ولما انتظروا وكانوا في طريقهم في سفرٍ وليس معهم الماء ونفذ الماء ، فشكا الصحابة قلة الماء فنزلت آيات التيمم ، فأنزل الله - عز وجل - آية التيمم فتيمم الصحابة ، وكان ذلك بسبب عائشة - رضي الله عنها - وهذا معنى قول أُسيد - رضي الله عنه - **" ما هي بأول بركتكم "** ؛ أي حصول خيرٍ ومنفعةٍ ، لأن الناس لو كان لا تصح صلاتهم إلا بالوضوء لشق عليهم عند فقد الماء الوضوء والصلاة ، إذًا لا بد أن يأتوا بالماء ، ولكن إن فُقد الماء أو تعسر استعماله فإنهم ينتقلوا إلى التيمم ؛ إذًا هذه **الفائدة الثالثة** .

الفائدة الرابعة : بينها الشيخ - رحمه الله تعالى - بقوله : **" فهم الآية على الوجه الصحيح "** ؛ لأن الآية أحيانًا قد يُفهم منها في ظاهر لفظها غير المعنى المراد كما وقع ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّـهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ [12] ﴿ **أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا** ﴾ : أي يسعى بين الصفا والمروة ، فإن ظاهر قوله : ﴿ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ** ﴾ ؛ يعني فلا إثم عليه ، **أن غاية أمر السعي بينهما أن يكون من قسم المباح** ؛ يعني ممكن ألَّا يسعى بين الصفا والمروة ولكن ليس هذا هو المراد .

اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - والنَّاسَ ولَيْسُوا علَى مَاءٍ وليسَ معهُمْ مَاءٌ ، قالَتْ عَائِشَةُ : فَعَاتَبَنِي أبو بَكْرٍ ، وقالَ ما شَاءَ اللَّهُ أنْ يَقُولَ وجَعَلَ يَطْعُنُنِي بيَدِهِ في خَاصِرَتِي، ولَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إلَّا مَكَانُ رَسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - علَى فَخِذِي ، فَقَامَ رَسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - حتَّى أصْبَحَ علَى غيرِ مَاءٍ فأنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا فَقالَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ : ما هي بأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يا آلَ أبِي بَكْرٍ ، قالَتْ : فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الذي كُنْتُ عليه فَإِذَا العِقْدُ تَحْتَهُ .
الراوي : عائشة أم المؤمنين ، المحدث : البخاري ، المصدر : صحيح البخاري ، الجزء أو الصفحة : 4607 .

[12] سورة البقرة (١٥٨)

" وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال : سألت أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن الصفا والمروة ، قال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية " ؛ يعني من العادات التي كانت في الجاهلية أنهم كانوا يسعون بين الصفا والمروة وكان على الصفا آلهةً وأصنام تُعبد ، وكان على المروة كذلك آلهة وأصنام تُعبد من دون الله ، **- فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما -** يعني ما طافوا وما سعوا بين الصفا والمروة - **فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّـهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ، وبهذا عُرف وعُلم أن نفي الجُناح ليس المراد به بيان أصل السعي** - يعني أن السعي مباح - ، **وإنما المراد نفي تحرجهم وإمساكهم عنه ، حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية** - من عادة أهل الجاهلية وعبادتهم للأصنام - **وأما حكم السعي فقد تبين بقوله : ﴿ مِن شَعَائِرِ اللَّـهِ ﴾** - يعني **﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّـهِ ﴾ - "**.

ولذلك الصحيح من قول أهل العلم أن السعي بين الصفا والمروة ركنٌ من أركان الحج والعمرة ؛ ولذلك جاء عن بعضهم وأظنه الزبير أنه قال : **" لا حرج عمن لا يسعى بين الصفا والمروة "** ، فبينت له عائشة - رضي الله عنها - أن قوله تعالى : **﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾** معناه ؛ أنه لا حرج من ذلك وإن كان من عادة الجاهلية سابقًا لكن الإسلام أقرَّه لأنه من عادة أم إسماعيل حيث كانت تسعى بين الصفا والمروة طلبًا للماء لولدها .

فهنا لو فهم الواحد منا الآية على ظاهرها لفهم فهمًا خاطئًا ، ولذلك إخواني - بارك الله فيكم - هنا نقول دائمًا ونكرر مهمٌّ جدًّا فهم السلف ، مهمٌّ جدًّا فهم الصحابة - رضي الله عنهم - لأنهم فهموا القرآن وفهموا التنزيل ، ولذلك يعتبِر أهل الحديث وعلماء السنة أن تفسير الصحابة

للقرآن يكون له حكم الرفع لأنهم تلقوه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

طيب ؛ فهم العلماء بعد الصحابة **هل هو مُلزِمٌ ؟ بمعنى يعامل أنه ما تفهم إلا بفهم العلماء ؟**

لا !! فهم العلماء يُستدل له ولا يُستدل به ، فهم العلماء يُستفاد منه ويُستأنس به ولا يُعتبر قولًا معتمدًا مطلقًا هكذا .

ولذلك إخواني لا بد أن نفهم هذه المسألة ، لا بد أن نفرِّق بين فهم السلف هذا أمرٌ لازم ، فهم الصحابة إذا لم يختلفوا ، وإذا اختلفوا تخيَّرنا من أقوالهم ، وأما من بعد الصحابة فإننا نستفيد من أقوالهم بدليله ، وأما من يجعل أقوال العلماء حجةً بذاتها من حيث هي - وأعني بالعلماء من بعد الصحابة - ؛ فهذا خطأ بل بدعةٌ من القول !

فالعلماء يُستدل لقولهم ، وفرقٌ بين احترامهم وتقديرهم وبين قبول قولهم مطلقًا ، قبول قولهم مطلقًا تقديسٌ لهم ، إعطاؤهم منزلة الصحابة في فضلهم ومكانتهم من حيث قبول القول ؛ هذا خطأ !

ولذلك يُخطئ كثيرٌ من الشباب في هذه المسألة ، بل ووقعوا في الخطأ وأخطاء بسبب تقديسهم لأقوال العلماء .

طيب ؛ بعد هذا بيَّن الشيخ - رحمه الله تعالى - مسألة فقال : **" عموم اللفظ وخصوص السبب :** ، عموم اللفظ وخصوص السبب ؛ يعني اللفظ من حيث هو يتناول كثيرين ، ولكن السبب قد يكون خاصًّا أو اللفظ خاصًّا ، وهذه مسألة مهمة في التفسير وأصوله ، فيقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" إذا نزلت الآية لسببٍ خاص ولفظها عام كان**

حكمها شاملًا لسببها ولكل ما يتناوله لفظها لأن القرآن كان نزل تشريعيًّا عامًّا لجميع الأمة ، فكانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ مثال ذلك : آيات اللِّعان وهي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [13] إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾.

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي - صلى الله عليه وسلم – يعني قال : إن زوجته زنت ، وهذا هو معنى قوله : قذف ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - **البينة** - يعني شهودك أو اعترافها - **أو حدٌّ في ظهرك** - حد القذف – **فقال من الحدّ ".**

طيب ؛ هلال بن أمية - رضي الله عنه - قذف زوجته والنبي - صلى الله عليه وسلم - طلبه بالبيّنة ولم يكن حينها نزل حكم اللعان بين الزوجين ، فحينها إما أن يثبت بالبينة أنّها زنت ، **والبينة** : شهود أربع أو اعترافها أو حد - حد القذف - لأنّه رماها بالزنا ، **فنزل جبريل** - عليه الصلاة والسلام - بالآيات التي جاءت في اللعان في سورة النور : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ** ﴾[14] .

" فهذه الآيات نزلت بسبب قذف هلال بن أمية لامرأته ، لكن حكمها شامل له ولغيره بدليل ما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن عويمر العجلاني جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله رجلٌ وجد مع امرأته رجلًا أيقتله ؟ فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : قد

---

[13]) سورة النور الآيات (٦ – ٩)
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

[14]) سورة النور [الآية : 6] .

أنزل الله فيك وفي صاحبتك - أي زوجتك - **فأمرهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالملاعنة بما سمّى الله في كتابه فلاعنها ؛ الحديث[15].**

فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - حكم هذه الآية شاملًا لهلال بن أمية وغيره " .

يعني الآية نزلت في هلال بن أمية

- فهل يُفهم منها أنها خاصةٌ بهلال بن أمية ؟

-أم يدخل فيها من كان في مثل هلال بن أمية كما وقع لعويمر العجلاني - رضي الله عنهم أجمعين - ؟

لا ، **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** ؛ هذا معنى . **ومعنى آخر أيضًا** : يذكره العلماء في هذه القضية وهي على سبيل المثال في قول الله - عز وجل - : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّـهِ** ﴾[16] إلى أن قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ** ﴾[17] ؛ طيب الآيات هذه نزلت في من قال لزوجته : **" أنتِ علي كظهر أمي "** ، طيب لو قال : **" أنتِ علي كظهر ابنتي " ، " أنتِ علي كظهر خالتي " ، " أنتِ علي كظهر عمّتي "** ، من المحرّمات تحريمًا أبديًّا ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...**﴾[18] إلى آخره

هل يأخذ نفس الحكم ؟ الجواب : **نعم .**

طيب ؛ الآية نزلت في من قال : **" أنتِ علي كظهر أمي "** ، نقول : **العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب** .

---

[15]) أخرجه البخاري كتاب التفسير سورة النور ، باب قوله - عز وجل - ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾ الآية ، حديث رقم (423) ومسلم كتاب اللعان حديث رقم (1492) .

[16]) سورة المجادلة [الآية : 1] .

[17]) سورة المجادلة [الآية : 2] .

[18]) سورة النساء [الآية : 23] .

طيب ؛ لو قال : **" أنتِ علي كبطن أمي ، كيَد أمي ، كرِجل أمي "** ، نقول : نعم نفسه كالظهار ، و**الظهار** : سُمي ظهارًا لأنه الغالب أن يشبهها بالظهر ، من الظهر ظهر الأم أو ظهر البنت أو نحو ذلك ، لأن المسلم محرّم عليه هذا الأمر ، فهنا أيضا نقول : **العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب .**

إذًا ؛ هذه **بعض الفوائد المستفادة من أسباب النزول** :

- معرفة أن القرآن نزل من عند الله - عز وجل - .
- تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم - والدفاع عنه والعناية به
- العناية بالمسلمين .
- فهم القرآن والمعنى المراد به .

ولذلك انظروا - بارك الله فيكم - إلى ابن عمر - رضي الله عنه - لمّا قال في الخوارج **بأنهم عمدوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين** ؛ يعني فسروها و جعلوا المعنى المراد بها المؤمنين فكفّروا المؤمنين ؛ ولذلك معرفة سبب النّزول أمرٌ مهمّ ، الخوارج يكفّرون الحكّام بعموم قوله تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[19] ، لكن ما فهموا فهم السّلف ، أمَا قال ابن عبّاس :

" كفرٍ دون كفر ، وفسقٍ دون فسق ، وظلمٍ دون ظلم " .

ولذلك إخواني - بارك الله فيكم - ينبغي لنا أن نهتم بهذا الأمر وألّا نعمل بعقولنا وألّا نتبع أهواءنا ؛ وإنما السنة اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح – رضوان الله عليهم – بهذا النجاة وبهذا الفوز وبهذا

[19]) سورة المائدة [الآية : 47] .

الاستقامة ، فكثيرٌ من المشاكل وكثيرٌ من الأمور سببها أن هؤلاء يعملون بأهوائهم وعقولهم وما تمليه عليهم أنفسهم الدنيئة ؛ فآذوا المسلمين وفرقوهم وآذوا السلفيين وامتحنوهم إلى آخره .

أسأل الله - عز وجل - أن يهديهم إلى السنة أو أن يكفينا شرّهم بما شاء .

إخواني ! في ختام هذا اللقاء أسأل الله – عز وجل – أن يرحم شيخنا العلامة **" حسن بن عبد الوهاب البنا "** وأن يتقبّله في الصالحين ، فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فنسأله - سبحانه وتعالى - أن يغفر له وأن يرحمه وأن يتقبله وأن يرزقنا الصبر على فراق العلماء وأن يعوض الأمة خيرًا فيما أصابهم

فنِعم الرجل كان عبادةً وصلاحًا وعملًا وتقوى نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا .

وفقد العلماء إخواني يحثنا ويحفزنا ويرغبنا في طلب العلم والاستزادة منه ، فإن الله لا يقبض العلم ولا ينتزعه انتزاعًا من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، فإذا مات العلماء ولم يؤخذ عنهم العلم ظهر الجهل وعمَّ البلاء ، نسأل الله - عز وجل - أن يخلفنا في مصيبتنا بخير منها وأن يجعل في علماءنا الخير والصلاح لهذه الأمة .

أكتفي بهذا القدر .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربِّ العالمين .

فريق صيانة السلفي